أدب الديوستوبيا: سرد المستقبل وبلاغة التّخييل الاستشرافي في رواية "يوتوبيا" لأحمد توفيق و "عطارد" لمحمد ربيع

Dystopia literature: Narration of the Future and Rhetoric of Imaginationin a Novel "Utopia" by Ahmed Tawfiq and "Mercury" by Mohamed Rabie

توفيق شابو*

جامعة البليدة2 الجزائر، chaboutoufik167@gmail.com

تاريخ الارسال**2020/06/26** تاريخ القبول 2023/05/08 تاريخ النشر2023/06/10

ملخص:

تروم هذه الدراسة تحليل علاقة الأدب بالقيم الجديدة التي بدأت تهيمن على العالم في العقدين الأخيرين،داخل أشكال التوحش العولمي والمد التكنولوجي و تحولات المحيط الاجتماعي والإنساني ،ومن هنا نلقي الضوء على الرواية العربية المعاصرة بوصفها شكلا من أشكال هذه التفاعلات،فلقد بدأت تسود الرواية العربية المعاصرة النزعة الديستوبية التي يتطرّق فيها الكاتب إلى الظروف الإنسانية والاجتماعية والسياسية، ليكشف عن العوامل المانعة لتنظيم اجتماعي يرى فيه الفرد العدالة وسبل السعادة والرقي،لذلك،ومن أجل أهمّية هذاالموضوع في الرواية العربيةالمعاصرة، نحاول قراءة التوجه الديوستوبي في الأدب، وبشكل خاص في الرواية وتحليل العناصر الديستوبية من المنظور السوسيو ثقافي في كل من رواية **يوتوبيا** لأحمد خالد توفيق ورواية **عطارد** لمحمد ربيع، باعتبارهما نزوعا ديوستوبيا في شكل التّيمة الروائية العربية،كل ذلك من أجل معرفة الكيفية التي صيغت بها العوامل الإنسانية والاجتماعية والسياسة التي تنمّي موجة الديستوبيا في المجتمع وكيفيّة ظهور هذه العناصر في البنية الروائية العربية.

الكلمات المفتاحية:الديوستوبيا،أدبالمدينة الفاسدة،الواقع ، خيال، سرديةالمهمّش.

Abstract

This study aims to analyze the relationship of literature with the new values that have begun to dominate the world in the last two decades, within the forms of global savagery and the technological tide and the transformations of the social, human and global surroundings that accompanied modern man, and from here we shed light on the contemporary Arab novel as a form of these interactions. The contemporary Arab narrative has begun to prevail in the dystopian tendency in which the writer addresses the human, social and political conditions, to reveal the factors that prevent a social organization in which the individual sees justice and ways of happiness and advancement, therefore, and for the sake of the importance of this topic in the contemporary Arab novel, this article attempts to read the dystopia In literature, and in particular in the novel and the analysis of the dystopian elements from a socio-cultural perspective in both Utopia's novel by Ahmed Khaled Tawfiq and Mercury's account of Muhammad Rabi`, as a dystopia tendency in the form of the Arabic narrative theme, all of this in order to know how the human, social and political factors are formulated The wave of dystopia in society develops and how these elements appear in the Arab narrative structure.

*المؤلف المرسل

Keywords:
Diostopia, literature of a corrupt city, reality, fiction, narrative marginalized.

.....

1. مقدمة:

بات الإنسان في مرحلة ما يسمى بالانفجار الاتصالي وثورة المعلومات والتوحش الرأسمالي والتقني حبيس الإخفاقات اليوتوبية التي بشّرت بها الفلسفات والسياسات المتعاقبة، مم جعله ينزوي داخل رؤية متشائمة قاتمة للوضع .وغير بعيد عن أشكال هذه التفاعلات، عكست الرواية العربية قياسا مع تحولات المحيط الاجتماعي والإنساني والعالمي، حيث يستقي الكاتب مادّته الروائية من الأحداث الإنسانية والاجتماعية السائدة، ويتّخذ منها الأرضية الممهّدة لكتابة روايته. فلقد بدأت تسود الرواية العربية المعاصرة هذه النزوع الديستوبية التييتطرّق فيها الكاتب إلى الظروف الإنسانية والاجتماعية والسياسية،ليكشف عن العوامل المانع ةلتنظيم اجتماعي يرى فيه الفرد العدالة وسبل السعادة والرقي،ومنه،نتساءل عن أسباب التوجه الديوستوبي في الرواية العربية، وما هي العناصر الديستوبية وتيماتها في كل من رواية **يوتوبيا** لأحمد خالد توفيق ورواية **عطارد** لمحمد ربيع ، حيث نهدف من خلال إبراز هذه التيمات إلىمعرفة الكيفية التي تصاغ بها العوامل الإنسانية والاجتماعية والسياسة التي تنمّي موجة الديستوبيا في المجتمع وكيفيّة ظهور هذه العناصر في البنية الروائية العربية.

وعليه فان إشكالية بحثنا تتمحور حول أسئلة محورية تتعلق بفهم مصطلح الديوستوبيا والرواية العربية الديوستوبية باعتبارها تحولا في السردية العربية؟ وماهو التصور الذي بلوره الروائيون حول المنظور الديوستوبي وعلاقته بالواقع العربي؟ ومنه فان بحثنا يهدف إلى فهم الواقع العربي من خلال المنظورات التخييلية داخل سياقات اجتماعية وسياسية واقتصادية؟

واخترنا المنهج التحليلي لفهم المنظورات الديوستوبية ومقاربتها مع الواقع العربي.

1. من اليوتوبيا إلى الديوستوبيا :التحولات الرمزية للواقع:

يقتضي الحديث عن الديستوبيا أولا الحديث عن اليوتوبيا (المدينة الفاضلة)، والتى رسمها الفلاسفة، ومنهم **أفلاطون** الذي حدد معالم جمهوريته بأن يحكمها الفلاسفة أو الحكماء، وهي مدينة جديدة ومختلفة ليس من ناحية شكل التخطيط العمراني، بل من حيث الأنظمة الحكمية، وبما تحويه من عدل، ومساواة، ومستوى حضاري واجتماعي، جامعة الأعراق والمذاهب داخل نسيجها، حيث يعد الإنسان هو الشرط الأساسي لتحقيق حلم بناء هذه المدينة الفاضلة. فبعد أن استنكر أفلاطون أن يتولى كل فرد حكم نفسه، وأقر بضرورة وجود طبقة حاكمة لا تقتصر قوتها على السلطة التي تمارسها على عامة الشعب، بل تتمثل فضلا عن ذلك في تفوقها العقلي والأخلاقي ووحدتها الداخلية[1] وبعد وضع كل شيئ في مكانه فقد شدد **أفلاطون** على مفهوم المواطنة التي أساسها الفرد، باعتباره المركز في تنظيم هذه المدينة بما يبديه من حس ومسؤولية. أما في التراث العربي الإسلامي فقد تمثل مفهوم اليوتوبيا عند **الفارابي** الذي استلهم أفكار أفلاطون و فلسفته، وراؤه في السعادة والأخلاق، والكون وخالقه، وما

وراء الطبيعة [2].واكتشف **الفارابي** تأخر المدينة العربية التى كانت تحكم بطريقة روحانية، واستفاد من هذه المفاهيم مدى التأخر في المدن العربية، ومنها بنى تصوره وفق ثلاث اجتماعات: هي اجتماع العالم، تم اجتماع الأمة، تم اجتماع المدينة [3] وخلص إلى أن المدينة الفاضلة هي ما تحقق السعادة للأفراد على أكمل وجه، ولا يتم ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة، واختص كل منهم بالعمل الذي يحسنه والوظيفة المهيأ لها بطبعه[4]. وبهذا يتوافق **الفارابي** مع سابقه **أفلاطون** في التركيز على حسّ المواطنة الفاعلة، التي تنشد بناء أسس لمدينة فاضلة داخل إطار مؤسساتي أخلاقي.وبالرغم هذه الرؤية المثالية للعوالم الفاضلة التي أرست لها الفلسفات المثالية، إلا انه من الجدير بالذكر أن النزعة المناقضة لليوتوبيا كانت متجسدة في المشروع اليوتوبي ذاته، فقد كان هناك عبيد في جمهورية أفلاطون وفي اليوتوبيات التي تلته،بما حوته من جرائم قتل جماعية للعبيد، وإجراءات ونظم صارمة وتعصب ديني، جنبا إلى جنب المؤسسات التنويرية القائمة، لذلك فالفكر اليوتوبي عرف اتجاهان: أولهما اتجاه يبحث عن سعادة الجنس البشري من خلال الرفاهية المادية وإذابة الفرد في المجموع ومجد الدولة. واتجاه يعتبر أن السعادة هي نتيجة التعبير الحر عن شخصية الإنسان، ويجب أن لا يضحى بها من أجل قانون أخلاقي استبدادي أو مصلحة الدولة[5]. وعليه يمكن القول أن المشروع التدميري لليوتوبيا كان يحمل بذور فنائه بين جنابته، ومنه فحديثنا عن الديوستوبيا لايبتعد مسافة عن الأطروحة المثالية لليوتوبيا ذاتها لكن بشكلها النقيض، فالديستوبيا المأخوذة من الكلمة اليونانية **dyostopia** التي تعنى المكان الخبيث الاجتماعي– السياسيالمعاصر هي عكس المكان الفاضل يوتوبيا، ويستنتج منهاأسوأالسيناريوهاتوأسوأالحالاتكتحذيراتللتغييرالاجتماعيأوالحذرالضروري[6] وتتميز غالبًا الديستوبيات بالتجرد من الإنسانية، وبالحكومات الشمولية والكوارث البيئية أو غيرها من الخصائص المرتبطة بالانحطاط الكارثي في المجتمع. وغالبًا فإن هذه الحياة الكابوسية التي يعيشها الأفراد ناتجة عن تنظيم سياسي هدفه (وفق من يديرون المجتمع، السلطة) جعل المجتمع يدار عن طريق غرس أفكار بعينها، ومحاولة تحويل الأفراد إلى نسخ من بعضهم. وهذا مايذهب إليه **هاربرت ماركيوز** في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد" في اعتبار أن التقدم التقني يرسخ دعائم نظام كامل من السيطرة، وهذا النظام يوجه بدوره التقدم ويخلق أشكالا للحياة تبدو وكأنها منسجمة[7] ومن هنا يفضح سلفه **إيريك فروم** كلّ أشكال التنويم التي تمارس على الإنسان من خلال تأسيسه للتأثيرات المرضية للمجتمع التكنولوجي[8]،لأنّها تفقده هوّيته التي تعود إلى نشأة المجتمع الاستهلاكي، حيث سادت بيروقراطية جديدة قائمة على التنميط وتعتمد على تغييب المشاعر الإنسانية، و كان من نتائجها هجوم ضارٍّ على الإحساس بالواقع الذي أصبح يلاحق الأفراد في كلّ وقت وفي كلّ مكان، و يحوصل **إيريك فروم** مظاهر الأزمة في الحرمان من الوجود والكينونة بالانسياق الكلّي وراء التملّك، معنى ذلك أنّ الوفرة التقنية وجنون الاستهلاك لم يفعل إلاّ أن حرم الإنسان المعاصر هوّيته الحقيقية، وحوّله إلى كائن فارغ حيث هناك اختفاء الخصوصية واختفاء الصلة الإنسانية[9]. ومنه اعتبار الإنسان مادّة أو شيئا، أي تمّ إفراغه من كلّ أبعاده الروحية من الأمل و الإيمان ومن الصفاء الذهني،

و التفكير النقدي، و استقلالية الوجدان،جعل من الفرد مستلبا داخل أنظمة أفقدته سعادته في الوقت التي تتغنى برفاهيته.

ومما سبق، فان فيما تعنيه كلمة الديستوبيا هي إطار مجتمع غير فاضل تسوده الفوضى، فهو عالم وهمي ليس للخير فيه مكان، يحكمه الشر المطلق، ومن أبرز ملامحه الخراب، والقتل والقمع والفقر والمرض، والحكومات الشمولية والكوارث البيئية أو غيرها من الخصائص المرتبطة بانحطاط كارثي في المجتمع. باختصار هو عالم يتجرد فيه الإنسان من إنسانيته يتحوّل فيه المجتمع إلى مجموعة من المسوخ تناحر بعضها بعضًا، وعليه فان الديستوبيات تتميز غالبًا بالتجرد من الإنسانية.

واليوتوبيا والديوستوبيا هما توأمان لكن غير متشابهان، فكلاهما يشنان نقدا تجاه المجتمع القائم ولكن كل منهما يستخدم آليات مختلفة، فاليوتوبيا هي محاولة تحسين وتعديل الوجود من وجهة نظر متفائلة، وتتعهد بالخير الذي سيحدث للجميع إذا ما قاموا بتغيير طريقة حياتهم في الحياة. أما الديوستوبيا فهي الطريقة المتشائمة لما سيحدث إذا ما واصل الجميع السير في طريقه[10] ومن هنا يتحدد الفاصل بين حدين متداخلين يمثل أحدهما الوجه النقيض أو المزيف للآخر.

3 – الأدب الديوستوبي: سردية الرؤية المستقبلية وبلاغة المقموعين:

أدب المدينة الفاسدة أو ديستوبيا أو عالم الواقع المرير **Dystopia** هو أحد الفروع المندرجة تحت مظلة أدب الخيال العلمي يصور حالة مجتمع خيالي، فاسد أو مخيف أو غير مرغوب فيه بطريقة ما يكون الناس فيه غير سعداء ومرعوبين، ولا يتم معاملتهم بطريقة عادلة أو إنسانية، وتشكل المعاناة نقطة البداية في خلق عالم الديوستوبيا أيا كان نوع المعاناة اقتصادية أو اجتماعية أو بيئية أو أخلاقية أو دينية أو ثقافية[11]. ولقد ظهرت قصص مثل هذه المجتمعات في العديد من الأعمال الخيالية، خصوصًا في القصص التي تقع في مستقبل تأملي.ويعتبر مصطلح المدينة الفاضلة **Utopia** الذي صاغه **توماس مور** في عمله الأشهر الذي يحمل نفس العنوان "يوتوبيا" وهو عمل أدبي فلسفي اجتماعي سياسي[12]– يمثل مجتمع مثالي تعم فيه مبادئ المساواة والعدالة – كنوعٍ أدبي في القرن السادس عشر الميلادي، ليصف بها حكاية جزيرة تعيش أجواء نظام مختلف عن إقطاعيات العصور الوسطى المظلمة في أوروبا، فالناس فيها يعملون ، ويشتركون في الموارد فيما بينهم. وعلى الرغم من أن **توماس مور** خلال روايته تلك لم يقّدم الكثير على صعيد التأمل بالاتجاهات الممكنة لتطور التكنولوجيّات مستقبلاً، إلا أن «يوتوبيا» تحولت إلى فاتحة نوع أدبي جديد ترافق صعوده مع البدايات الأولى لعصر النهضة، وبلغ ذروته على ضفاف النظام الرأسمالي الحديث، الذي أعطى البشريّة أملاً بغد أفضل ومنه كان لعمل **توماس مور** الفضل في اشتقاق وظهور مصطلح أدب المدينة الفاسدة**Dystopia** ، فإذا كانت اليوتوبيا هي المجتمع المثالي، فالديستوبيا هي عالم كابوسي وغير مرغوب به، وتسعى فيه الحكومات للسيطرة على مواطنيها، وأحداثها غالبًا تقع في المستقبل . فالأدبالديستوبيأوأدبالمدينةالفاسدة،هومجتمعخيالي

مخيفأوغيرمرغوبفيه،تسودهالفوضى،ومنأبرزملامحهاالخرابوالقتلوالقمع والفقر والمرض، وهو يأتي في مقابل أدب اليوتوبيا أي أدب المدينة الفاضلة **utopia** بمعنى المكان الفاضل الذي ينشد السعادة لسكانه. وتجدر الإشارة هنا انه لا يمكن المزج بين أدب الديوستوبيا وأدب نهاية العالم **apocalypse** أي الأدب الذي يعالج كارثة معينة من الكوارث الطبيعية، أو البيولوجية أو الحروب النووية، فالديوستوبيا لاتصف نهاية العالم بل نهاية الإنسانية [13]. ومنه فإن قصص «الديستوبيا **Dystopia**» – التي هي نقيض اليوتوبيا – تتحدث عن المستقبل، لكن على عكس اليوتوبيا، فتتقدم الديستوبيا تصورًا مظلمًا جدًا سيفقد البشر فيه الكثير من حريتهم، ومشاعرهم، ومواردهم، أو ربما على العكس، يسود الرخاء الظاهرى – يوتوبيا – لكن هناك انحطاطًا كارثيًا فى جانب من جوانب الحياة، وتحكم هذه المجتمعات فى الغالب حكومة شمولية أو طبقة مسيطرة تحرص على أن يكون هناك خواء ومحو للفردانية والتعاطف، وأى مشاعر بشرية أخرى.وبهذا المعنى فان أدب الديوستوبيا ليست اتجاها أدبيا فحسب وإنما واقع نعيشه عبر التاريخ الإنساني [14] ومنه فإن التّخييل الديستوبي يهدف لاستشراف المستقبل، لتحذيرنا من ظواهر قائمة بالفعل قد يؤدى عدم اتخاذ موقف أخلاقي وعملى حيالها إلى تحولها لتلتهم عالمنا وهويتنا الإنسانية بكاملها.

بدأ الأدب الديستوبي في الانتشار بعد الثورة الصناعية، حين اتسعت الفوارق الاجتماعية بين العمال والطبقة الغنية، مما دفع الأدباء وقتها إلى الغرق في التشاؤم، وشعر الأدباء والفنانون بمدى الانحطاط الذي وصل إليه العالم، وساد تيار تشاؤمي عدمي في إنتاجهم حيث عرفت المجتمعات الحديثة انتكاسة أمل اليوتوبيات التي بشرت بها الفلسفة والإيديولوجيات السياسية، مع تفشي الغزوات الاستعماريّة ومآسي الحروب، بما شهدته من قنابل نووية وموت وخراب مدن وضحايا بالملايين، وآلام ومشاهد فاجعة، مما أنتج أعمالاً في غاية التشاؤم حتى وصفت بالدستوبيا – أي نقيض اليوتوبيا– مثل رواية **ألدوس هكسلي** "عالم جديد شجاع" أو رواية 1984 **لجورج أورويل**. وبدأ الأدب عمومًا خلال الفترة ذاتها، وتحديدًا النّوع الروائي الذي يتصوّر شكل المستقبل منه، بدا أنه يعيش في أجواء تغلب عليها مناخات القلق والتشاؤم والسوداوية بدلاً من التفاؤل من مستقبل أكثر إشراقًا.

وإذا كان القرن العشرين يمثل العصر الذهبي لأدب الخيال العلمي وفروع الأدب الملحقة به، فقد نشرت الكثير من الأعمال التي خلّدت أدب الديوستوبيا وصنعت شهرة هذا النوع من الأدب مثل "البرتقالة الآلية" **لأنتوني بيرجس** ورواية "نحن" **ليفغيني زامياتين**، ورواية "العقب الحديدية"**لجاك لندن** و يمكن تتبع أدب الديستوبيا إلى الماضي أي قبل ظهور المصطلح نفسه، فبالرغم من أن البعض يعتبر رواية رحلات جيلفر **لجوناثان سويفت** 1726م أحد أوائل أعمال أدب الفانتازيا إلا أن إنه يمكنه ربطها بأدب اليوتوبيا والديستوبيا معًا، ففي المجتمعات التي زارها الرحالة جيلفر تنطبق عليها ذات الخصائص العامة التي تحدد المدن الفاضلة وكذلك المدن الفاسدة، ورواية "آلة الزمن" **لهربرت جورج ويلز** 1895[15]. إذ إن **أنتوني بيرجس** يقول إنه كان ليكون من الأفضل استخدام مصطلح **Cacotopia** كان هذا المصطلح يتم استخدامه قبل ظهور مصطلح الديستوبيا

وهي كلمة يونانية يمكن ترجمتها إلى سيء أو شرير، واقترح **جيرمي بينتهام** استخدامه كمقابل لليوتوبيا لتوصيف رواية 1984، فعلى حد قوله إنها تعتبر أسوأ بكثير مما تكون عليه المدينة الفاسدة.[16]

وعلى غرار الإنتاجات التّخييلية الأخرى، فإن أدب الديوستوبيا يتنوع بين القضايا السياسية إلى القضايا الاقتصادية أو حتى البيئية، فالمجتمع داخل المدينة الفاسدة قد توج في سلسلة واسعة من الأنواع الفرعية من الخيال العلمي، وعادة تستخدم هذه القصص والروايات لتسليط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعي المتعلقة بالمجتمع والبيئة والسياسية والدين وعلم النفس والقيم الروحية أو التكنولوجيا التي قد تصبح الحاضر في المستقبل. لهذا السبب، اتخذت الديستوبيا شكل العديد من التكهنات، مثل التلوث والفقر والانهيار المجتمعي والقمع السياسي أو الشمولية.[17] وهي تكهنات تستمد مرجعياتها من مسببات واقعية يبشر بها غالبا وضع ما.لذلك رأى كتاب هذا الأدب ان هذا النوع من الأدب هو وسيلة للتنبؤ الاجتماعي والسياسي أكثر كونه مجرد أدب، فهو يهدف إلى قيادة القراء إلى اتجاه إيديولوجي معين.[18]

4- العناصر الديوستوبية والتّخييل الاستشرافي:

يتمحور أدب"الديستوبيا" حول التأمل في المستقبل، الذي يتسم بالفساد أو السوء بشكل عام، فهو نوع من الأدب الخيالي الذي عادة ما يصور مجتمعات مستقبلية سيئة.ويتعمد تصوير مستقبل شديد القتامة بغرض تسليط الضوء على قضايا متباينة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو إقتصادية أو علمية أو فلسفية، وتتنوع عناصر الديستوبيا من القضايا السياسية إلى القضايا الاقتصادية أو حتى البيئية. كما أنها تقدم صورة مظلمة عن المجتمع الذي يفقد فيه الفرد حريته وأمنه وفردانيته وحتى مشاعره.[19] فالمجتمعات الديستوبية قد توجت في سلسلة واسعة من الأنواع الفرعية من الخيال العلمي، وعادة تستخدم هذه القصص والروايات لتسليط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعي المتعلقة بالمجتمع والبيئة والسياسية والدين وعلم النفس والقيم الروحية أو التكنولوجيا التي قد تصبح الحاضر في المستقبل. لهذا السبب، اتخذت الديستوبيا شكل العديد من التكهنات، مثل التلوث والفقر والانهيار المجتمعي والقمع السياسي أو الشمولية.

ومن أبرز ملامح الأدب الديستوبي هو التجرد من الإنسانية. وتتميز الديستوبيات غالباً بفقدان الحس الإنساني، وسيادة الحكومات الشمولية وتفشي الكوارث البيئية أو غيرها من الخصائص المرتبطة بانحطاط قيمي فى المجتمع [20]لذلك فدائماً ما يكون **المجتمع الديستوبي** تحت حكم الأنظمة الشمُولية و الديكتاتورية و الاستبداد بشكل عام و يُعاني هذا المجتمع في كثير من الأحيان من قمع الشرطة، ومن كوارث بيئية، وانعدام الثقة ما بين الناس، وانتشار الفقر و الأوبئة و المجاعات.

وبالرغم من الملمح السياسي لأدب الديوستوبيا باعتبار أن أحد مصطلحاته هو أدب الخيال السياسي فانه ليست بالضرورة أن تكون مشاكل سياسية، فالأدب الديستوبي يتناول كذلك مواضيع مختلفة حول هموم و مشاكل المجتمع بشكل عام و مشاكل البيئة و الإقتصاد و علم النفس و حتي العلوم والتكنولوجيا، فجاء مجتمع

"الديستوبيا" في الأدب ليعبر عما يعانيه الإنسان من أزمات إنسانية ونفسية، وخوف من التطور الهائل للتكنولوجيا وما قد يحدثه من ابتعاد الإنسان عن طبيعته البشرية، خاصة إذا استخدمت هذه التكنولوجيا في تطوير الأسلحة وجنحت نحو الدمار.

أما من ناحية المرجعية فإن أدب الديوستوبيا يُقارب بشكل دقيق بين ديستوبيا العالم الحقيقي و ديستوبيا العالم الخيالي، كما أن الكثير من الأعمال تتخذ من الواقع ومشكلاته التي قد تبدو مستعصية نقطة انطلاق نحو الحديث عن مستقبل أكثر، سوءا حيث يبتكر أدب "الديستوبيا" عالما افتراضيا مشتقا من الواقع ومواز له ممكن تحقيقه، ليحفز المتلقي ويجعله يسأل ماذا لو يحدث هذا، لأنمأكثرالأمورحضورًافي جدلالوعيالنقديهواحتواءالشكلالروائيلباقيالأشكالالأدبيةالأخرى،واستفادتهمنمفرداتالواقع،وممارسةحريتهفيالتعبيرعنهذا الواقع،لارتباطهبرصدالروايةلتحوُّلاتالواقعالعلمية

والاجتماعيةوالدينيّة،ولكونهاالنصالموازيللذاتالإنسانيةووعيهاللعالمنحولهاومن ثمإعادةصياغةذلكالعالموفقتمثُّلاتها[21]

من العناصر الديوستوبية أيضا وجود الملمح الفانتازى وانهيار العوالم المرجعية الذي يكاد يكون ملمحا عاما فى رواية الديستوبيا ،صحيح أنه قدلايكونبمقدورالإجاباتالمتعلقةبطبيعةالتخيُّلاتالفانتازيّةأنتحلَّ الإشكالات التي تثيرها،إلا أن التأثير الذي تتركه الفنتازيامرهونبحقيقةقوامهاأنَّالعالمالذيتطرحهيبدو عالمنادونأدنىريب،وهدفالفنتازياوغايتها في الأدب لايختلفانبالضرورةعننظرتيهمافيالواقعيّةالحدّية.[22]

يمثل عنصر انتهاك التاريخ شكل من أشكال التّخييل الديستوبي، سواء تعلق بأبطال أو رموز أسطوريين أو بمدن لها حضورها المعمارى فى التاريخ، وهو أحد ملامح التوجه المابعد حداثي وذلك بغرض صناعة تاريخ بديل يناهض نماذج السلطة القمعية، ويجرى ذلك بطريقة تجاوز ما يمكن حسبانه نوعا من المحاكاة الساخرة، ومن ثم فهي محاولة لكتابة التاريخ من أسفل، دون موازين القداسة ومعايير الامتياز.

نرى بأن تبدّي مظاهر الديستوبيا في المنجز الأدبي والروائي تحديدا هو محاولة تسليط الضوء على الواقع الفعلي للمجتمع وما يعتمل فيه من قضايا تتعلق بالمجتمع، والدين، والسياسة، والقيم الروحية، بشكل متخيّل يستمد تمثّلاته الواقعية والغرائبية من الواقع المعيش، لذلك فإن هذا التمظهر يتخذ شكل التكهّنات والتنبّؤات لما سيحصل في المجتمع من انهيار القيم المجتمعية، والكوارث البيئية، والأمراض، والقمع السياسي[23].

5- ثنائية المجتمع واليوتوبيا المقلوبة في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق:

تدور أحداث رواية "يوتوبيا" **لأحمد خالد توفيق** في مصر في فلك عام 2020 أو ما يليه بقليل، حيث رسم الروائي ملامح فترة ساد فيها الفساد حين انقسم المجتمع إلى قسمين: الأول هو أرض يوتوبيا التي يسكنها الأغنياء وذوي النفوذ، والأرض الأخرى أطلق عليها اسم "أرض الأغيار". وتتمحور حبكة الرواية حول الصراع بين شخصية راسم من مجتمع يوتوبيا الراقي، وشخصية جابر من عالم الأغيار الفقير.

وتبدأ أحداث الرواية حيث يقرر بطلها راسم أن يخوض تجربة الذهاب إلى أرض الأغيار (الفقراء) والرجوع بتذكار من هناك وهو (قطعة من جسد) أحد الأغيار بعد قتله طبعاً على سبيل التغيير، ويصطحب في

رحلته هذه إحدى صديقاته جيرمينال حيث ينجحون في الوصول لأرض الأغيار وتدور هناك أحداث الرواية كلها حيث يمزجها بأحداث الرواية التي تصل لذروة أحداثها حين ينجح بطل يوتوبيا بقتل فريسته وأخذ التذكار المطلوب منه والعودة به لأرضه . ثم تأتي النهاية حيث يتسبب هذا الحادث البسيط في استيقاظ وثورة قاطني أرض الأغيار فيأتوا ليوتوبيا مطالبين بالثأر من كل الماضي الأليم التي تسببت فيها أرض يوتوبيا،وتنتهي الأحداث على بوابة يوتوبيا حيث يستعد البطل وأصدقاؤه الأمريكان(حراس يوتوبيا) لمواجهة الزحف والغضب القادم والمطالب بالثأر وهكذا تنتهي أحداث الرواية نهاية متشابكة .

يأخذنا الكاتب إلى تصادم بين عالمين بأبطاله من خلال البطل اليوتوباوي وبطل أرض الأغيار وهو مايشبه صراع الملحمة الطراودية بين هكتور وأخيل. حيث تواصل الصراع في كل المحطات ليجر شعبين متناقضين من حيث المكان والمقومات،كاشفا سيمات كل شخصية ومعريا الوسط القادم منه، ومن هنا يتحدد الفرق بين الشخصيتين/الطبقيتين/الشعبين فالفقراء يقتلون من أجل لقمة العيش وليس من أجل القتل، بينما الأثرياء يقتلون من أجل التسلية وكسر الملل: **في يوتوبيا حيث يتوارى الموت خلف الأسلاك الشائكة فلا يصير إلا لعبة يحلم بها المراهقون**[24]. ويظهر من خلال هذا الصراع وجود هوة عميقة بين عالمين، وهو الوضع الذي يؤسس لفلسفة مكارثية وفق توصيف الروائي في بناء عالمين حيث يقول على لسان شخصية سالم بيه **هناك خلل اجتماعي أدى إلى ما نحن فيه لكنه خلل يجب أن يستمر، وكل من يحاول الإصلاح يجازف بأن نفقد ما نحن عليه**[25] ويمثل الروائي لهذا الانقسام وفق مجتمعين:

مجتمع الأغنياء (يوتوبيا): هي المنطقة التي احتشد فيها الأغنياء وشيدوا مجتمعا له تقاليده لا يعترف بالدين ولا بالإثنيات ، لا حدود للحريات والترف والشذوذ والمحرمات فيه، مجتمع مادي صرف ،تحرسهم أسوار عالية ورجال من المارينز **فهي الجنة الصناعية والمستعمرة المنعزلة التي شيدها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج والتي صارت تحوي كل شيء يريدونه**[26]. يتحكم مجتمع يوتوبيا في الدواء والطعام والصحافة والبورصة، أبناءهم يعيشون حياة مرفهة ، يتسوقون من متاجر فاخرة (مول إيليت) ويتعاطون مخدر (اللفوجستين) التي سيتم جلبها من الدانمارك خصيصا للأغنياء في المستقبل، يستمعون لموسيقى (الأورجازم)، يمارسون كل أنواع الترفيه الممكنة حتى يستنفذوها جميعاً ثم يخترعون لعبة جديدة تصلح للتفاخر فيما بينهم، يخرج الشجاع منهم خارج «يوتوبيا» ليصطاد فريسة من عالم المقابل، ويعود من المغامرة بتذكار هو جزء من جسد المقتول.

أما **مجتمع الفقراء (عالم الأغيار)**: فهو عالم السواد الأعظم، **عالم الخرائب**[27] بلا أعمال سوى كونهم خدم للأثرياء،بلا مستشفيات،ولا خدمات من أي نوع، يأكلون هياكل الدجاج ويصطادون الكلاب من الشوارع للحصول على اللحم،يغرقون في الجهل والتغييب والتهميش والمخدرات،يمارسون الدعارة كالحيوانات

يعيشون في فقر مدقع وصدامات وحروب عصابات يتعاطون أرخص أنواع المخدرات،قد يتقاتلون من أجل جيفة ، تلطخهم الأوساخ والأسمال البالية تكسوهم ،يموتون بالأمراض والجوع ولكنهم يتكاثرون.

وقد استند المؤلف في روايته على عدة أسباب قادت لهذه النتيجة المفزعة مثل سقوطالسد العالي ونجاح إسرائيل في حفر قناة موازية وبديلة لقناة السويس، ونضوب البترول في دول لخليج مما أدى ترحيل العمالة المصرية. هذه الأحداث لم تكن بالحسبان لذلك جاءت النتيجة كارثية. ومنه تصور لنا الرواية حسب الكاتب ما ستكون عليه مصر سنة 2023، مما يعني أن الدولة ستغيب ويصير الصراع بين طبقتين، واحدة تستفيد من ريع الدولة وتبنى نفسها وتؤسس لها منطقة خاصة ومحرمة وطبقة سفلى كادحة تعاني وبينهما تتلاشى الطبقة الوسطى. إذن فالصراع صراع طبقيتين وشعبين وشخصيتين الراوي وصديقته من يوتوبيا مقابل جابر وأخته من أرض الأغيار. حيث تروى كل شخصية منها خلفيات ثقافية وفكرية فيها العداء للآخر. ليأخذنا الكاتب من خلالها إلى تصادم العالمين الخاصين بأبطاله من خلال البطل اليوتوباوي وبطل أرض الأغيار،ومن خلال ذلك التفاعل بين العالمين ينقل لنا الكاتب تحذيراته من المستقبل البشع الذي يتهددنا من خلال استعراض إحصائيات العنف تارة ومن خلال استعراض احصائيات[28](حقيقية واقعية)تعكس سلبية المجتمع الحالي في التعامل مع قضايا كأطفال الشوارع والعنف وما شابه. ويمثل الروائي للتصادم بين العالمين لسلبية الفقد للفردوس اليوتوبي الذي يسعى مجتمع الأغيار إلى ربط وجوده بها مما جعل من الفقد هو الخاصية في المحاولة الحثيثة للعودة إلى هذا الفردوس المفقود ولو عن طرق القوة والعنف.

5-1- اللاأمكنة وديوستوبيا المدينة المنهارة:

إذا كانت الأمكنة حسب توصيف **مارك أوجيه** أنها ترتبط بالرمزية الاجتماعية[29] فإن كتابة الرواية جاءت نتيجة هذه الرمزية والأشياء المحيطة بالروائي واقعا والتي يراها في الحياة اليومية، ونتيجة التّماهي الواقعي مع وضع سيئ مما يجعل من أرض اليوتوبيا أرضا مزيفة بما تحمله من تناقضات. من خلال هذا الطرح نتسائل مع الناقد **سعيد بن كراد** حول إمكانية التطابق بين العناصر التي تأثث عالم تجربتنا الواقعية وبن العناصر التي يعج بها عالم الممكنات ؟ فالأنا المنتجة للخطاب تتخلص من مقتضيات التجربة المباشرة كما يحددها الإدراك الواقعي لكي تبني عوالم مصنوعة من الرغبات والأوهام والحنين إلى شيء لم يوجد بعد أو لن يوجد أبدا [30]وهو مايتقصّده الروائي في تمرير العالم الممكن في يوتوبيا على العالم الواقعي المعاش، فالكاتب محكوم بجدلية الواقع المادي والواقع النصي فحين يعمد إلى رسم يوتوبياته التّخييلية وفضاءات الممكن فيها فهو لا يتجرد من واقعه المادي، كون إمكانية التخلص من مقتضيات العالم الواقعي وتقديم الأنا ككيان متحرر من كل الإرغامات مسألة لايمكن تحقيقها فالخصائص التي تحكم كياننا هي نفسها الخصائص التي تحكم خصائص العالم الممكن[31] وعليه فان رسم المجتمع الديوستوبي وفق خارطة مسبقة ذهنية ونفسية تتماهى طردا مع الإرغامات التي لا يمكن التحرر منها لدى الأنا الكاتبة، وبناء عليه فان القيم المثبتة على شكل أنساق دلالية والماثلة كأجهزة مراقبة للفعل الإنساني الواقعي تنتقل إلى العالم الممكن، وسيكون عالم الدلالة داخل العالم الممكن تسنينا تأنيا لقيم مسننة بشكل سابق داخل الأجهزة

الواقعية[32] ومن هنا يمكننا فهم هذا التقسيم بين عالمين اللذان هما نتاج يوتوبيا مزيفة. وإذا كان توصيف هذه العوالم النصية باعتبارها أبنية ثقافية فان كل بناء ثقافي هو اختصار للتجربة الواقعية التي تتحول إلى نموذج ينفي الخصوصية على الأفعال والأشياء وتحويلها إلى نماذج عامة، لأن الحالات العامة هي السبيل للتعرف على الحالات الخاصة وفهم مضامينها[33] خاصة أن التقسيم الذي ارتآه **أحمد خالد توفيق** بين مجتمع يوتوبيا ومجتمع أرض الأغيار هو الحالة العامة التي تشي بحالات خاصة على مستوى الواقع الهش بشخوصه وأنظمته ومؤسساته. وهي حالات لا ينفي وجودها إلا الزمن إيهامه لنا بالزمن المستقبلي، لكن يؤكّد حقيقتها مقدماتها من انقسام مجتمعي وطغيان المادية المتوحشة وفقدان الهوية والإحصائيات الرهيبة للعنف والانهيار الاجتماعي والاقتصادي والتي استقاها من مراكز بحثية ومصادر إعلامية حقيقية. وهي الحالة التي تؤدي بأحد شخوص الرواية أن تصرخ: **لماذا لا تتركونا وشاننالقد سرقتم الماضي والحاضر والمستقبل، لكن تكرهون أن تتركونا نعيش**[34].إن الديوستوبيا في يوتوبيا **احمد خالد توفيق** هو فراغ الإنسانية، وموت الإنسان وقيمه، وتنامي أخلاق القوة –حسب التوصيف النيتشوي– في مختلف صورها، سواء كانت عسكرية، أو اقتصادية أو جسدية. وداخل الوضع الهش ينتقد النظام الأخلاقي الفردي والمؤسساتي المتجاوز للقيم اليوتوبية الحقة، والذي أحل يوتوبيا معكوسة منهارة ومفككة ومزيفة .

6– الجحيم الديوستوبي أو العنف محاورا ذاته في رواية عطارد لمحمد ربيع.

تبدأ عملية السرد في رواية "عطارد" **لمحمد ربيع** وفق العقد التواصلي الذي يقيمه المؤلف مع القارئ من خلال مدخل افتتاحي يهيّئ فيه قارئه وفق استشراف مستقبلي للجحيم الديوستوبي القادم مستقبلا. وهذا العقد التّخييلي يرتكز على أن المبدع يؤول العالم في حين أن القارئ يؤول النص فل قيمة لسؤال المبدع في غياب وجود القارئ الذي يقيم الصلة مع النص وعبر النص يكتشف العالم[35]. فتبدأ الرواية حين تكتشف الشرطة جريمة قتل يقوم بها أب قتل زوجته وأطفاله، وبدأ بطبخ لحمهم وأكله، ،جرّاء الإفلاس الذي حل به بعد أن خسر أمواله في البورصة. وتثير هذه الحادثة الضابط "أحمد عطارد" بطل الرواية، إذ ترد صور مستقبلية إلى رأسه، فيرى نفسه بعد أن قد قتل زوجته وطفلتيه، فيدخل ضمن متاهة القتل العشوائي للكثير من الناس .و تقوم رواية عطارد على ثلاث حبكات تتقاطع في شخوصها وبنياتها القصدية إن في شخصياتها أو في أحداثها وأمكنتها:

الحبكة الأولى وتجري أحداثها عام 2025، حين تقع القاهرة تحت احتلال أجنبي من قبل جيش فرسان مالطا، وهي مقسومة إلى غربية وشرقية، والناس مستسلمون ومتقبّلون للاحتلال، في حين رفض قسم من ضباط الشرطة هذا الاحتلال فشكّلوا فريق مقاومة لمحاربته. ليكون "أحمد عطارد" بطل العمل واحداً من قناصة المقاومة التي تهدف إلى قتل جنود الاحتلال، كما قتل الناس المتعاونين معهم، وفي مرحلة لاحقة يصبح هدفهم قتل أي شخص مصري لحضّ الناس على الثورة ضد الاحتلال.

أما **الحبكة الثانية** التي تسير جنب الحبكة الأولى وتتشابك معها في القسم الأخير من الرواية، لكنها حبكة استرجاعية حيث تجري في عام 2011، إذ يجد المدرّس "إنسال" نفسه متورطاً مع طفلة صغيرة "زهرة" اختفى

والدها دون أي أثر، فيبدأ رحلة البحث عنه بين جثث قتلى التظاهرات، في المشافي والثلاجات. "زهرة" التي تصاب بمرض غريب، فتبدأ معه حواسها بالاختفاء، ينطبق الجلد حول فمها، ثم يمتد ليغطي عينيها وأذنيها وأنفها. يرد ذكر هذا المرض في عام 2025 مرة أخرى، إذ يرد أن الحالة عادت للانتشار.

الحبكة الثالثة التي هي حبكة صغيرة وفرعية تعطي الرواية بعداً تاريخياً، وتؤكد على فكرتها الأساسية، تجري عام 455 هـ، وهي عن "صخر الخزرجي" الذي مات ثم بُعث من جديد ليقول للناس إنهم يعيشون في الجحيم يدرك "عطارد" من خلال الكثير من الإشارات هذه الحقيقة، فيستمر في قتل الناس لتخليصهم من الجحيم، بعد أن يدرك أنه خالد في الجحيم، وأنه ابن الجحيم.

لقد عملت تقنية السرد في عطارد على تحبيك زماني وحدثي بغية توجيه القارئ نحو معالم محددة قصد خلق تآلف يقود المتلقي إلى الانتقال من ما هو واقعي نحو الخيالي الواقعي فإذا كان المتلقي يعيش واقعه ككائن اجتماعي وفق رؤيته إليه وتعامله معه كمحسوس فهو يتمثل النص الروائي كعالم مواز تلعب فيه الإشارات والرموز دورها للوصول إلى دلالاتها العميقة [36] ومنه تبدو عطارد رواية هي رواية القارئ.

6-1- مدينة النظام الشمولي ومأسسة العنف:

يعيش المجتمع الديستوبي في رواية عطارد تحت نظام شمولي مسيطر يمثله الاحتلال بما يعكسه من قيم حكم الأنظمة الشمُولية والاستبدادية بشكل عام، و يُعاني هذا المجتمع في كثير من الأحيان من كوراث بيئية تتفاقم مع الوضعيات الصحية. حيثيرسم الروائي مدينة القاهرة كما يتخيّلها بعد الاحتلال وكيف يعيش الناس فيها، مستخدماً أقصى الخيال الممكن في رصد ملامح المدينة:**كنت أتطلع على القاهرة الشرقية على ارتفاع مئة وثمانين مترا تقريبا، ظهرت المباني الشهيرة وكأنها أقوى من الزمن ومن الناس، أقوى من أي شيء حتى لو كان الواحد معماريا متسامحا من الطرز الحديثة فسيرى قبحا تم التعود عليه بطول المعاشرة وربما قبحها هذا هو سبب بقائها حية رغم موت الكثيرين**[37] ترصد لنا هذه الصورة وغيرها في الرواية المدينة مستقبلا والتغيّرات التي طرأت عليها، وعلى حياة الناس الذين يتنقلون في أنفاق بين شطري القاهرة، ويرتدون أقنعة على شكل شخصيات مشهورة، ويدخنون مخدر "الكربون" المصنّع من الحشرات. ويتبادل رجال المقاومة الرسائل المشفّرة عبر أجهزة غريبة لها أشكال حشرات طائرة.و يتجسد التخييل الاستشرافي لمدينة مقموعة سياسيا واجتماعيا رغم بعض الإحالات المرجعية لواقع القاهرة اليوم، فلا فرق بينها إلاّ بما يوهمنا به السرد من الزمن المستقبلي، والإيهام هي لعبة تخيلية تتقصد القارئ المتلقي، حيث تخلق الصياغة من حيث هي ممارسة الكاتب كتابة موهمة بحقيقة القول فتخلق بذلك وهمها الفني[38].إن أهم المعالم التي تُظهر ديستوبيتها في رواية عطارد هي القبح المعماري،وهي إحالة إلى بناء مجتمعي، فليس هناك شكل فني أكثر ارتباطا بمجتمع بعينه كشكل تعبيراته المعمارية لأنه الفن المتجذّر فيزيائيا في الموقع الجغرافي لذلك المجتمع[39] فتمثل هندسة المباني شكلا ناتجا أصلاً عن نمط معماري سلطوي؛ فالأبنية التابعة للحكومة والأنظمة المستبدة دالة على عمق النظرة السلطوية والفوقية، مما يتناقض مع المباني البسيطة والعشوائية للطبقة الفقيرة من المجتمع، ومن هنا تتلاعب الرمزية السياسية بهذه

الإمكانات(الهندسية) لكي تعبر عن جبروت السلطة[40] في نمط المراقبة علوّا، والحصار دائريا، والقوة والشمولية تشيّيدا. وإذا كان عنف العالم يمر عبر المعمار حسب توصيف **جان بودريار**[41] فقد أمدنا الروائي بإحساس القتامة والانقباض، عالم حزين ومأساوي بأمكنة لا يمكن العيش فيها، يتحرك فيها الناس داخل ديكورات فنتازية مستعارة من تصورات ذهنية لا مكان للتحديد فيها مليئة بالانهيار والقذارة، أمكنة لا هوية لها يقول: **لاشيء سوى الفوضى ابحث عن النظام وسط كل هذا**[42] ومنه قياسا على هذه الحالات الهندسية فان الجسم المعماري يناظر الموضوع الرمزي[43] كمكان يتأثر سلبا أو إيجابا بالحال والوضع الذي عليه أهاليها. فالمتخيل السردي في الرواية يؤكد الوضع التبادلي لمظاهر القبح والجمال بين المكان والإنسان، والمكان أحد المؤشرات الأرضية لتحديد الهوية[44] ، وهي علاقة طردية تظهر على نحو واضح في تأثر ظاهراتية المكان بالإنسان والعكس، ومنه تبدو تقصّدات الكاتب بتشظية المكان وتشويهه قياسا على تشوه الذات داخل هذه الأمكنة التي تستنبط وجودها من المرجع الواقعي حتى وان قدمت الرواية المؤشرات الديكورية على المكان حيث ثمة أزقة، وعمارات، وشوارع، إلا أنها تبقى مدينة غير محددة بحيث لا تعطي الثقل الفكري لهويتها،والروائي يسحب مشاهداته على هذا الجو، ففي أعماق التعامل مع مؤشرات المدينة يفقد الروائي إحساسه بما يراه وبما يتعامل معه[45] وتصبح المدينة المتخيلة بهذا الشكل مفقودة فكريا وهوياتيا وليس فنيا،وإذا العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة طردية إلا أنها في رواية عطارد تبدو علاقة وهمية لا شروط موضوعية لها كون ارتباط الشخصية بفعلها هو ارتباطها بالمكان نفسه، إلا أن الروائي تقصد تكسير الرابطة بغية تغييب العلاقة بين عنصري الإنسان والمكان لما يشوب هذه العلاقة من توتر وانشطار على مستوى الواقع. ومن خلال هذه العلاقة تنشأ تيمة الرعب التي يصفها الروائي على لسان شخصيته بالقول: **يبدو أن إثارة الهلع الأخلاقي لم يعد سببا كافيا لتحريك الناس، الهلع الأخلاقي كأي رعب زائف، ولا يدرك الناس زيفه إلا بعد مدة من سيطرته عليهم ويبدو أن علينا أن نخطو خطوة أخرى، هذه المرة لن نخلق هلعا أخلاقيا زائفا بل يجب أن نخلق هلعا حقيقيا هلعا صافيا**[46] .

6-2- ديوستوبيا الصمت والخواء الإنساني:

في ديوستوبيا عطارد لمحمد ربيع كل شيء ينهار، والأكثر قسوة ورعبًا في الرواية هو الهزيمة والتشاؤم الاجتماعي والسياسي المسيطر،هي وصف الإنسان المصري وما وصل له من مرحلة انهيار داخلي، حيث يمارس الروائي نوعًا من التفكيك الداخلي لأي أمل داخلي وأي رغبة في المستقبل، حيث نستشعر بأن الهزيمة في كل مكان **لاشيء حولي لا نور لا موجودات لا رائحة لا إحساس ولا أفكار، هذا هو العدم ولا كلمة ثانية لوصفه ألست في العدم الآن**[47] ،وحتى تبريرات الكاتب لهذا الواقع تصبح تبريرات كرنفالية، ففي قضية المرض الذي تفشلا يذكر الكاتب تبريرات أو تفسيرات لهذا المرض الغريب، يتركه مفتوحاً لتأويلنا بل يحيلنا إلى تفسير ساخر: **لقد بالغو في السخافة فأعلنوا أن ما يحدث ليس مرضا، فقد لمجرد أنهم لم يجدوا له سببا**[48] إنها الفكاهة في الجحيم حسب تعبير الروائي، هل فقد الإنسان حواسه وإحساسه أمام كمّ العنف والقتل،ونتسائل هل

تختلف شخصية "زهرة" التي فقدت القدرة على الرؤية وعلى الكلام وعلى السمع عن أي شخص ما زالت حواسه سليمة، لكنه يصمت أمام ما يراه وما يسمعه من قتل وخراب تم تأتينا الإجابة صادمة : **بكيت لأني أشفقت على الناس يظنون أنهم يبنون قواعد الصرح الهائل لكن الحقيقة أن لا بلد ولا دولة ولا قانون ولاشيء حقيقي كل هذا وهم يعيشه الجميع كي يستمر العذاب أنيقا بليغا قادرا على إحداث أشد الضرر في النفوس**[49] لقد خاب الحلم اليوتوبي في بناء صرح المدينة الفاضلة داخل أشكال الانهيارات الهندسية والنفسية، وأفرغ الإنسان وداخله القيمي،داخل الوضع والصورة القاتمة والسوداوية، وأصبح إنشاد فردوس اليوتوبيا أملا بعيدا بل مستحيل التحقق.

5. خاتمة:

يتمحور أدب''الديستوبيا'' حول التأمل في المستقبل، الذي يتسم بالفساد أو السوء ، يصور مجتمعات مستقبلية سيئة بغرض تسليط الضوء على قضايا متباينة، وتتنوع عناصر الديستوبيا من القضايا السياسية إلى القضايا الاقتصادية أو حتى البيئية.وقد تنامى هذا الأدب مع تطور أشكال التفاعلات البشرية وطغيان المادية وتراجع الحس الإنساني، لدرجة أن المعاناة الإنسانية كانت بدايته.

وعلى غرار الرواية العالمية، فإن الرواية العربية لم تحد عن هذا التوجه في الأدب، قياسا على الخيبات الذي عرفها الإنسان العربي جراء الحروب وتمدد الأنظمة الشمولية والديكتاتورية وتعطيل مشروعه النهضوي، تحت غياب أي أفق لأمل اقتصادي أو اجتماعي آو سياسي.

مثلت العديد من الروايات هذا النزوع التخييلي، مكتنزة أنساق الرؤية الديوستوبية، أبرزها رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق التي وصفت الحالة العامة على مستوى الواقع الهش بشخوصه وأنظمته ومؤسساته،ومثلت للمجتمع الديوستوبي وعوالمه المادية والنفسية، ومسببات انهيار حلم الفردوس لمجتمعاتها.أما رواية عطارد لمحمد ربيع، فقد ركزت على الخواء الإنساني، وفقدان القيمة داخل أنظمة شمولية، مما أدى بتعطيل المشروع اليوتوبي لمجتمعاتها وتطلعاتهم .

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1- أحمد خالد توفق،**رواية يوتوبيا**، ميريت للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة مصر، 2008.

2- محمد ربيع، رواية **عطارد**، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت لبنان 2015.

3- ماريا لويزا بيرنيري، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**، ترجمة عطيات أبو السعود مراجعة عبد الغفار مكاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت1997.

4- علي عبد الواحد وافي، **المدينة الفاضلة للفارابي**، مكتبة نهضة مصر،1991.

5- هربرت ماركيوز **الإنسان ذو البعد الواحد** ترجمة جورج طرابيشي منشورات دار الآداب بيروت لبنان ط 3 1988

6- ايريك فروم **ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة** ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد دار الكلمة للنشر والتوزيع ط 1 القاهرة 2010

7- إبراهيم نصر الدين عبد الجواد **أدب النهايات الإسرائيلي رواية 2023 للأديب يجال سارنا نموذجا** منشورات كلية الآداب جامعة طنطا مصر،د/ت.

8- توماس مور **يوتوبيا**، ترجمة إنجيل بطرس سمعان الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية، مصر، 1987.

9- مارك أوجيه، **اللاأمكنةمدخل إلى أنثربولوجيا الحداثة المفرطة**، ترجمة ميساء السيوفي مراجعة جمال شحيد هيئة البحرين للثقافة والآثار 2018.

10- سعيد بن كراد، **النص السردي نحو سيميائيات للايدولوجيا**،الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط المغرب .1996

11- نور الدين صدوق، **البداية في النص الروائي**، دار الحوار للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، سوريا **1997**.

12- إسماعيل سراج الدين، **العمارة والمجتمع**، ترجمة سنان حسن، مكتبة الإسكندرية للنشر والتوزيع، مصر 1997 .

13- جان بودريار وإدغار موران، **عنف العالم**، ترجمة عزيز توما، تقديم إبراهيم محمود، دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية سوريا 2005.

14- ياسين النصير، **الرواية والمكان دراسة المكان الروائي**، الطبعة الثانية، دار نينوى، دمشق، سوريا 2010.

15- يمنى العيد الرواي، **الموقع والشكل بحث في السرد الروائي**، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، 1986.

المقالات:

1- فاطمة برجكاني، **الديوستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة** قراءة في رواية أورويل في الضاحية الجنوبية لفوزي ذبيان، مجلة إضاءات،العدد 29 ،السنة الثامنة 2018.

2- نرمين صالح القماح **أدب المدينة الفاسدة الانتقال من الأدب الخيالي إلى أدب الواقع** مجلة الجديد العدد 37 لندن فبراير 2018.

3- هدى أبو غنيمة، **فانتازيا الرؤية المستقبلية رواية حرب الكلب الثانية لصنع الله إبراهيم** أنموذجا، مجلة أفكار وزارة التقافة الأردنية.د/ت

مواقع الانترنيت:

-معتز حسانين **الديوستوبيا المستقبل المخيف في الأدب العالمي**

https://www.noonpost.com/content/11238 متصفح بتاريخ :2019/03/23 على الساعة:18:52

-أحمد الجباوي،الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة **http://www.fikrmag.com/topic_details.php?topic_id=40**متصفح بتاريخ :2019/03/25على الساعة:10.15

7. الهوامش:

1- ماريا لويزا بيرنيري، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**، ترجمة عطيات أبو السعود مراجعة عبد الغفار مكاوي،الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت1997 الصفحة 33.

2- علي عبد الواحد وافي، **المدينة الفاضلة للفارابي**،الطبعة الأولى،مكتبة نهضة مصر،القاهرة ،مصر،1991 ص 22

3- المرجع نفسه الصفحة 27.

4- المرجع نفسه الصفحة 30.

5- المرجع نفسه الصفحة 19.
6- فاطمة برجكاني، **الديوستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة** قراءة في رواية أورويل في الضاحية الجنوبية لفوزي ذبيان، مجلة إضاءات،العدد 29 ،السنة الثامنة 2018، الصفحة 132
7- هربرت ماركيوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ترجمة جورج طرابيشي ،الطبعة الثالثة،منشورات دار الآداب، بيروت لبنان 1988، الصفحة 28.
8- ايريك فروم ،**ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة**، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد،الطبعة الأولى، دار الكلمة للنشر والتوزيع،القاهرة 2010الصفحة 70.
9- المرجع نفسه الصفحة 78
10-إبراهيم نصر الدين عبد الجواد **أدب النهايات الإسرائيلي رواية 2023 للأديب يجال سارنا نموذجا** منشورات كلية الآداب جامعة طنطا مصر الصفحة 6
11-نرمين صالح القماح **أدب المدينة الفاسدة الانتقال من الأدب الخيالي إلى أدب الواقع** مجلة الجديد العدد 37 لندن فبراير 2018 الصفحة 51
12- توماس مور **يوتوبيا** ترجمة إنجيل بطرس سمعان الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية مصر 1987 الصفحة 11.
13-فاطمة برجكاني **الديوستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة** الصفحة 136
14-نرمين صالح القماح **أدب المدينة الفاسدة الانتقال من الأدب الخيالي إلى أدب الواقع** الصفحة 52
15-معتز حسانين **الديوستوبيا المستقبل المخيف في الأدب العالمي**
https://www.noonpost.com/content/11238 متصفح بتاريخ :2019/03/23 على الساعة:18:52
16- المرجع نفسه
17-أحمد الجباوي،الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة
http://www.fikrmag.com/topic_details.php?topic_id=40متصفح بتاريخ :2019/03/25على الساعة:10.15
18-إبراهيم نصر الدين عبد الجواد، **أدب النهايات الإسرائيلي**، الصفحة: 6.
19-فاطمة برجكاني، **الديوستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة**، الصفحة 136
20- أحمد الجباوي،الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة،مرجع سابق
21-هدى أبو غنيمة، **فانتازيا الرؤية المستقبلية رواية حرب الكلب الثانية لصنع الله إبراهيم** أنموذجا، مجلة أفكار وزارة التقافة الأردنية، الصفحة 74.
22-المرجع نفسه الصفحة 75.
23-فاطمة برجكاني، **الديوستوبيا أدب المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة**، الصفحة 137.
24-أحمد خالد توفق، **رواية يوتوبيا**،الطبعة الأولى ميريت للنشر،القاهرة مصر، 2008، الصفحة 15.
25-**الرواية**، الصفحة 16.
26-**الرواية**، الصفحة 20.
27-**الرواية** ،الصفحة 98
28-**الرواية**، الصفحة 82-83
29-مارك أوجيه، **اللاأمكنةمدخل إلى أنثربولوجيا الحداثة المفرطة**، ترجمة ميساء السيوفي مراجعة جمال شحيد الطبعة الأولى،هيئة البحرين للثقافة والآثار 2018، الصفحة 63.
30-سعيد بن كراد، **النص السردي نحو سيميائيات للايدولوجيا،الطبعة الاولى**، دار الأمان الرباط المغرب 1996 الصفحة 29.
31- المرجع نفسه، الصفحة 31.
32-المرجع نفسه، الصفحة 32.

33-المرجع نفسه، الصفحة34.

34-**الرواية**، الصفحة 101.

35-نور الدين صدوق، **البداية في النص الروائي**،**الطبعة الأولى**، دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا، 1997 الصفحة 12.

36-المرجع نفسه، الصفحة 18.

37- محمد ربيع، رواية **عطارد**،**الطبعة الأولى**، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت لبنان، 2015الصفحة 19.

38-يمنى العيد، الرواي **الموقع والشكل بحث في السرد الروائي**، الطبعة الأولى،مؤسسة الأبحاث العربية بيروت لبنان 1986 الصفحة 68.

39-إسماعيل سراج الدين، **العمارة والمجتمع**، ترجمة سنان حسن، مكتبة الإسكندرية للنشر والتوزيع، مصر 1997 ،الصفحة 14.

40-مارك أوجيه، **اللاأمكنة**، الصفحة 66

41-جان بودريار وإدغار موران، **عنف العالم**، ترجمة عزيز توما تقديم إبراهيم محمود ،الطبعة الاولى،دار الحوار للنشر والتوزيع،اللاذقية سوريا، 2005ص47.

42-الرواية، الصفحة 21.

43-جان بودريار ،**عنف العالم** الصفحة 55.

44-ياسين النصير، **الرواية والمكان دراسة المكان الروائي**، الطبعة2، دار نينوى دمشق سوريا 2010 ص 29.

45-المرجع نفسه، الصفحة 31.

46-الرواية، الصفحة 66.

47-الرواية، الصفحة114.

48-الرواية، الصفحة 258.

49-الرواية، الصفحة248.